

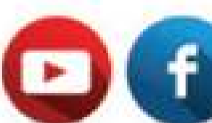
سلسلة توجيهات للمرأة المسلمة (١٨)

مِنْ قَصَصِ نِسَاءِ السَّلَفِ

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي











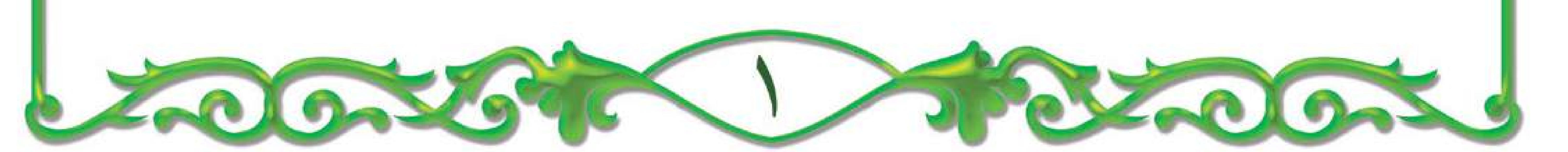
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمدٍ ﷺ وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

روى الطبراني بإسنادٍ حسنٍ عن سُعدى امرأة طلحة بن عُبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة، قَالَتْ: «دَخَلتُ يَوْمًا عَلَى طَلْحَةَ بنَ عُبَيدِ الله فَرَأَيْتُ مِنْهُ ثِقَلًا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا لَكَ؟ لَعَلَّكَ رَابَكَ مِنَّا شَيْءٌ فَنُعْتِبَكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَنِعْمَ حَلِيلَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْتِ، وَلَكِنِ اجْتَمَعَ عِنْدِي مَالٌ، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَتْ: وَمَا يَغُمُّكَ مِنْهُ؟ ادْعُ قَوْمَكَ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ! عَلَيَّ بِقَوْمِي، فَسَأَلْتُ الْخَازِنَ: كَمْ قَسَمَ؟ قَالَ: أَرْبَعَمِئَةَ أَلْفٍ».

فهذا حال المرأة العاقلة أنها تشير على زوجها ويقبل منها المشورة، وهذا طلحة رضي الله عنه كان عنده همٌّ فسألته امرأته: «لَعَلَّكَ



رَابَكَ مِنَّا شَيْءٌ»، لعلنا قصرنا في حقك يا طلحة فنعتذر منك، قال: «لا، وَلَنِعْمَ حَلِيلَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْتِ»، أنتِ نِعمَ الزوجة، مدحها وأثنى عليها، هكذا الزوجان يُعين كل واحد منهما الآخر، تسأل عنه، ويسأل عنها، ما الذي أهمك؟ ويتبادلان الكلام اللطيف، هكذا كنَّ نساء السلف يتعاملن مع الأزواج.

فأشارت إليه بعد أن علمت ما الذي أهمه، قال: عندي مال كثير لا أعرف كيف أتصرف فيه، (لَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ؟) قالت له: لا يهمُّك منه شيء، ادعُ قومك، وأقاربك، وأعطهم من هذا المال، فأخذ بمشورتها وقَسَمَ على قومه أَرْبَعَمِئَةَ أَلْف، في ذاك الوقت أربعمئة ألف دينار أو درهم مبلغ كبير، فهذه قصة من قصص نساء سلفنا لعل نسائنا وأمهاتنا وبناتنا يقتدين بهؤلاء النسوة.

أيضًا أثرٌ آخر: عَنْ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ

مَعَكَ؟ قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي[1]».

قال الراوي: "فَأَمَرَتْ أُم حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ كَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ، حتى لقيت الله".

هذه المرأة الصالحة تُحب أن تُصلي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه علّمها أن صلاة المرأة في بيتها أفضل: «صَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ» المكان المنعزل في البيت أفضل من المكان الظاهر في البيت، «وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ -فِي بيتكِ- خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ»، فصلاة المرأة في البيت أفضل، لكن يجوز لها أن تحضر الجماعة مع الرجال، ومِن حرصها على العبادة أمرت أن يُبنى لها مصلى في البيت في

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٢ / ٦٥٥٨) برقم: (٢٧٧٣٢)

أقصى شيء تَنفيذًا لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما دلَّها على هذا الأمر، وكانت تُصلي في ذاك المكان اتباعًا لأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لقيت الله عَزَّ وَجَلَّ.

أيضًا عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتكت من الرَّحا في يدها، كانت تخدم زوجها عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاشتكت من الرَّحا، أي: أنها تطحن القمح والشعير في الرحا؛لتخدم زوجها وتطبخ لزوجها.

فأتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيٌّ من السبايا والعبيد والإماء، فَانْطَلَقَتْ فاطمة رضي الله عنها إلى بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْهُ،فوجدتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، قال عليٌّ رضي الله عنه: فجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا عندما علِم أنها تريد خادماً، أي: ذهب صلى الله عليه وسلم إلى بيت علي بن أبي طالب، وبيت ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال:وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا،فذهبنا نقوم من الفراش حتى نستقبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛بين

فاطمة وبين زوجها علي، قال: حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟» أعطيكما علماً أفضل لكما من خادم؟ «إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ[2]».

هكذا المرأة من نساء سلفنا تخدِم زوجها، وتعمل في بيتها، وتؤدي حق زوجها كما فعلت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذه القصة فوائدها كثيرة، لكن يكفينا أن هذه واحدة فقط من نساء سلفنا الصالح، نتذاكر فيما بيننا ونُذكِّر نساءنا وأمهاتنا بأن يرجعن إلى سير وتراجم هؤلاء النسوة حتى يتعلَّمن ويقتدين بهن.

أيضًا يقول حُصَيْنُ بْنِ مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ، فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، طلبت أمرًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاها إياها، فَقَالَ لَهَا: «أَذَاتُ

---

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٨٤) برقم: (٣١١٣) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٨٤) برقم: (٢٧٢٧)

زَوْجٍ أَنْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟، هل تؤدين حق الزوج؟ هل تُقومين بجميع الواجبات التي عليكِ تجاه زوجكِ؟، قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، أخدمه بقدر ما أستطيع، قَالَ: «فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ[٣]» .

فهنا هذه المرأة تخدم زوجها، (مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ) يعني: لا أُقصِّر في خدمته، وفي طاعته، وفي أداء ما عليَّ من واجبات تجاه زوجي، ما قصَّرت في حقه شيئًا، فبيَّن لها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ جَنَّتُكِ» إذا أطاعت المرأة زوجها، وقامت بحقوقه مخلصةً لله عَزَّ وَجَلَّ هذا سبب لدخولها الجنة.

أيضًا عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرْ إليها»، يعني: انظر للمخطوبة هذه قبل أن تتزوجها، «انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا» فإنه أحرى في دوام المحبة بينكما، والعشرة بينكما بالمعروف.

قال المغيرة: "فَأَتَيْتُهَا وَعِنْدَهَا أَبوَاهَا وَهِيَ فِي

---

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٨ / ٤٣٦٠) برقم: (١٩٣٠٨)

خِدْرِهَا"، فقلتُ الآن يُخاطب الوالدين والمرأة تسمع وهي في خِدرها: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، قال: فَسَكَتَا الأم والأب، أَمْرُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن يعصيه؟

قال المغيرة: فَرَفَعَتِ الْجَارِيَةُ جَانِبَ الْخِدْرِ فَقَالَتْ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ لَمَا نَظَرْتَ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَأْمُرْكَ أَنْ تَنْظُرَ فلا تَنْظُرَ"، قال المغيرة: "فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا ثُمَّ تَزَوَّجْتُهَا، فَمَا وَقَعَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ بِمَنْزِلَتِهَا، وَلَقَدْ تَزَوَّجْتُ سَبْعِينَ، أو بضعاً وسبعين امرأة[(٤)].

الشاهد من هذا: انظر إلى حياء نساء سلفنا الصالح، أتى ليتزوج، وأراد أن ينظر إلى مخطوبته، وهذا أمر أباحه الشرع، وجاء فيه الأمر؛ "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا"، «انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا»، وانظر أيضًا إلى السمع والطاعة عند الوالدين، الآن إذا جاء من يريد أن يخطب

---

(٤) لحديث رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٦)

إلى أحد الأبوين يقول: أنا أُريد أن أتزوج ابنتكم، وأُريد أن أنظر إليها؛ لأن الشرع أمرني أن أنظر إليها، ماذا يفعل الناس؟ قد يمتنع، لكن هنا الوالدان سكتا؛ لأن الشرع جاء بالأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يُسَلِّمُوا له تَسْلِيمًا، هؤلاء أسوة لنا ولنسائنا ولبناتنا.

أيضًا قصة خامسة عن نساء سلفنا: عَنْ مُوسَى بْن يَسَارٍ قَالَ: مَرَّتْ بِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْرَأَةٌ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ، أي: رائحة الطيب منها تتطاير، شمَّ ريحها، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ؟ إلى أين أنتِ ذاهبة؟ قَالَتْ: إِلَى الْمَسْجِدِ، ذهبت تصلي الجماعة وهي متعطرة، قال أبو هريرة: وَتَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعِي فَاغْتَسِلِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ امْرَأَةٍ صَلَاةً خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ حَتَّى تَغْتَسِلَ(٥)».

وعند أبي داود: «فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ

---

(٥) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٣ / ١٧٤) برقم: (١٦٨٢)

الْجَنَابَةِ[٦]»، وعند مسلم أيضًا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ[٧]».

فعلى نسائنا الانتباه لهذا الأمر وخاصةً من تحضر إلى المساجد لصلاة الجمعة، أو لصلاة القيام في رمضان، أو لصلاة الجماعة، لا يمنعها الرجل إذا أرادت مسجد جماعة، فالشرع أجاز لها أن تأتي إلى المسجد، لكن تأتي بغير الطيب الذي يثير الفتنة، هذا إذا ذهبت إلى المسجد، فكيف إلى ذهبت إلى العمل، أو إلى السوق، أو إلى غيره؟ فلا يجوز للمرأة إذا خرجت من بيتها أن تتطيَّب ويجد ريحها الرجال، هذا من كبائر الذنوب.

أيضًا أختم بدور المرأة المسلمة في حث أبنائها على طلب العلم، وفي تربية الأبناء على الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، واتباع شرع الله عَزَّوَجَلَّ.
عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكى وهو غلامٌ صغير؛ عمره أربعة عشر سنة، أو نحوه، فأرسلت إليه أمه قالت: ما يُبكيك؟ قال: ذكرت الموت

---

(٦) الصحيحة (١٠٣١)

(٧) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٣٣) برقم: (٤٤٤)

-وهو غلامٌ صغير-، وكان يومئذٍ قد حفِظ القرآن، وتمكَّن حب الله عَزَّوَجَلَّ وخوفُه من قلبه، فذكر الموت فبكى من ذِكر الآخرة وهو غلام، فبكت أمه حين بلغها ذلك.

انظر إلى تربية هذه الأم، ربَّت ابنها من الصِغَر، أرسلته إلى معلمي القرآن، وحفظ القرآن بعناية الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بتربية هذه الأم، وربَّته على حفظ القرآن، وربته أيضًا على الذهاب إلى مجالس العلم، فتعلَّم العلم وهو غلامٌ صغير، وهذا الأثر عن عمر بن عبد العزيز ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، المجلد الخامس (١١٦)، في ترجمة عمر بن عبد العزيز.

كذلك أيضًا يقول وكيع: قالت أم سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اذهب فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي"، أي: أصرف عليك وأُنفق عليك بالمغزل، وهي أداة الخياطة، تخيط وتبيع الثياب، وتصرف على ابنها الذي يطلب العلم عند العلماء وهو غلام صغير.

تقول: "فإذا كتبت عدة أحاديث يا سفيان فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه، وإلا فلا تتعنَّى"، أيضًا تنصحه وتُوجهه، وتقول: أنت الآن عندك

رغبـة في العلـم اذهـب، لا يهمـك النفقـة، أنـا أُنفـق عليـك بـإذن الله عَزَّوَجَلَّ بهـذه المهنـة مهنـة الخياطـة، فـإذا كتبـت عـدة أحاديـث وأسـانيدها مـن علمـاء الحديـث انظـر إلى نفسـك، إذاوجـدتَ عنـدك رغبـة وإخـلاص في الزيـادة في طلـب العلـم فأكمـل، وإلا فـلا تتعـنَّ.

هـذه أيضًـا نصيحـة ذكرهـا الذهبي في سيرأعـلام النبـلاء، في المجلـد السـابع في سـيرة سـفيان الثـوري.

إذن نسـاء السـلف حرصـن علـى العمـل بالإسـلام، والقيـام بأدوارهـن في بنـاء المجتمـع، وتربيـة الأجيـال، والأبنـاء علـى الإسـلام، وَفـق تعاليـم الإسـلام الحنيـف، فعلـى المـرأة في زمننـا أن تقـرأ في سـيرهن، وتقتـدي بهـن، إذا أرادت الله والـدار الآخـرة.

والحمد لله رب العالمين.